آداب الضيافة

دراسة تطبيقية على قصة ضيف

إبراهيم ﷺ في القرآن الكريم.

د/ مريم نافل الدويلة*

(*) مدرس بقسم التفسير والحديث – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الكويت.

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على آداب الضيافة من جملة الآداب الأخلاقية الاجتماعية التي ينبغي للأفراد الالتزام بها ، لتقوية أواصر الترابط فيما بينهم، وإن المتتبع لجملة الآداب في القرآن الكريم والسنة النبوية يجدها من الكثرة بمكان، فإنك لا تجد جانباً من جوانب الحياة إلا ورد له ذكر وتهذيب ، وذلك بتشريع الآداب اللازمة له.

وقد عُني البحث بالتركيز على آداب الضيافة ، وبالتحديد الآداب التي مع الضيف ، واخترت أنموذجاً لذلك من خلال قصة ضيف إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم ، وقمت بالتطبيق عليها ؛ إذ أن أبانا الخليل ابراهيم عليه السلام كان أول من ضيف الضيف فأحسن ضيافته.

هذا وقد جاءت نصوص الشريعة بالأمر بإكرام الضيف ، وأنه من مقتضيات الإيمان بالله تعالى.

المقدمة:

الحمد لله ، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء وخاتم المرسلين، وعلى آله الأطهار، وصحابته الأخيار، وأتباعه الأبرار، وبعد:

فإن آداب الضيافة تعد معلماً من معالم النبوة الأولى التي تحلى بها الأنبياء واتصف بها الأجواد كرام النفوس ، وتعلق العرب بها منذ أمد بعيد.

فلما ظهر الإسلام أقر هذا المعلم الرفيع؛ إذ تضمنتها آيات القرآن الكريم، ووردت أحاديث عدة تبين أهميتها وفضل إكرام الضيف، وما يتعلق بها، ولفت نظري عند البحث الفوائد التي يمكن أن تستنبط من قصة ضيف إبراهيم ، قال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ﴾ (١).

يقول ابن القيم: «فقد جمعت هذه الآية آداب الضيافة التي هي أشرف الآداب، وما عداها من التكلفات التي هي تخلف وتكلف ، إنما هي من أوضاع الناس وعوائدهم وكفى بهذه الآداب شرفاً وفخراً»(٢).

ويقول: عهدي بك أيها القارئ أنك «إذا قرأت هذه الآيات، وتطلعت إلى معناها وتدبرتها، فإنما تطلع على أن الملائكة أتوا إبراهيم في صورة أضياف يأكلون، وبشروه بغلام، وأن أمراته عَجِبتْ من ذلك، فأخبرتها الملائكة أن الله قال ذلك، ولم يجاوز تدبرك غير ذلك».

فاسمع الآن بعض ما في الآيات من الأسرار. وكم قد تضمنت من أنواع الثناء على إبراهيم؟ وكيف جمعت آداب الضيافة وحقوقها؟ وكيف يُراعى الضيف؟...(٣).

ونظرا لأهمية الموضوع، ارتأيت أن أقوم بجهد متواضع حول بيان آداب

---

(١) سورة: الذاريات الآية (٢٤-٣٠).
(٢) جلاء الأفهام، لابن قيم الجوزية، ص ٢٧٣ – ٢٧٤.
(٣) الرسالة التبوكية، لابن قيم الجوزية، ص٧٢.

الضيافة من خلال قصة ضيف إبراهيم عليه السلام باعتباره خلقاً إسلامياً أصيلاً حث الشارع الحكيم عليه ؛ لما فيها من الآلفة والمحبة ووحدة المجتمع وخصلة من خصال الإيمان فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليكرم ضيفة**»[1].

ولترك الضيافة أثر وعلامة على الأنانية وحب الذات والتعلق بالدينار ولقد رأيت تساهل كثير من المسلمين بالضيافة بل قد يتساءل ويقول: وهل يستحق موضوع كهذا البحث والدراسة ؟ أقول: نعم يستحق البحث والدراسة كيف لا وهي آداب تنم أن من يأتي بها بتمام الإيمان، ولذا ارتأيت أن أكتب فيه خدمة للعلم الشرعي؛ ليدعم الحث على هذا العلم الرفيع، وسميته «آداب الضيافة – دراسة تطبيقيه على قصة ضيف إبراهيم عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم».

الدراسات السابقة في الموضوع:

من المصادر القديمة التي تعرضت لبعض جزئيات البحث:

"إحياء علوم الدين" للإمام الغزالي، "غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب للسفاريني"، "الآداب الشرعية والمنح المرعية" لابن مفلح، "جلاء الأفهام" لابن قيم الجوزية.

أما الدراسات الحديثة : فمنها:

"الأدب مع الضيفان" للشيخ محمد محمود إبراهيم عطية، "سلسلة الآداب" للشيخ محمد صالح المنجد، "الضيافة دراسة فقهية مقاربة" د. سيف رجب قزامل.

منهجي في البحث:

وأما المنهج الذي اتبعته في بحثي، فهو على النحو التالي:

أولاً: أحصيت الآيات المتعلقة بآداب الضيافة من خلال قصة ضيف إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وهي في ثلاث سور مكية.

ثانياً: دمج المصطلح القرآني مع السياق الذي وردت فيه، وبيان تناسق المصطلح مع

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب إكرام الضيف وخدمته إياه، (١٢/١٦٥) ح٦١٣٨، فتح الباري.

الآية التي ورد فيها، ومع السياق الذي وردت فيه الآية؛ وذلك لبيان الوحدة الموضوعية في المعنى المراد.

ثالثاً: بينت معاني بعض الألفاظ القرآنية الواردة في البحث.

رابعاً: جمع الأحاديث المتعلقة بكل مبحث لتكون عوناً على فهم الأيات، حيث إن السنة مبينة لكلام الله تعالى وشارحة له.

خامساً: قمت أولاً بالتعريف اللغوي ، ثم بالتعريف لبعض المصطلحات التي وردت في البحث.

سادساً: عزوت الأقوال إلى قائليها في الهامش ، مع ذكر اسم المرجع والمؤلف والجزء إن وجد والصفحة.

سابعاً: عزوت النصوص المنقولة إلى مظانها الأصلية ، واكتفيت بمصدر واحد أو مصدرين أو ثلاثة مصادر في بعض الأحيان.

ثامناً: أبين مواضع الآيات القرآنية التي يرد ذكرها في البحث فأذكر اسم السورة ورقم الآية في هامش الصفحة، أما إذا لم تذكر الآية كاملة فأقول: من الآية.

تاسعاً: الوقفة المتأنية الفاحصة أمام ألفاظ الآيات، واستخلاص دلالتها، ولطائفها، واستنباط دروسها، وعبرها، وحكمها، وتسجيل حقائقها.

عاشراً: في تخريج الأحاديث اتبعت الطريقة الآتية:

إذا كان الحديث في الصحيحين أكتفي بتخريجه من أحدهما.

إذا كان الحديث في غير الصحيحين، فيخرج من كتب الحديث مع بيان درجته وذلك بنقل أقوال أهل العلم فيه.

قد يرد الحديث في أكثر من مبحث على حسب الشاهد، فجعلت التخريج في موضعه الأول، وذلك بذكر المصدر الذي منه الحديث، ثم أذكر اسم الكتاب، ثم اسم الباب إن وجد، ثم رقم الجزء والصفحة ورقم الحديث. وعليه فإن ذكر في مواضع أخرى اكتفيت بقول: «سبق تخريجه . انظر ص».

أقوم بشرح الألفاظ الغريبة والغامضة في الحديث الشريف.

حادي عشر: وأخيراً بينت اختياري ووجهة نظري كثمرة علمية وعملية لبحثي.

أسأل الله عز وجل أن يعلمنا ما جهلنا وأن ينفعنا بما علمنا، والحمد لله رب العالمين.

خطة البحث

أما الخطة التي وضعتها : فهي على النحو التالي :-

مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وقائمة بالمصادر والمراجع.

المقدمة: وتشمل أهمية الموضوع، وسبب اختياري له، والمنهج الذي اعتمدته في كتابته.

المبحث الأول: مفهوم آداب الضيافة ودلائل أهميتها في الكتاب والسنة، وينقسم إلى مطلبين:

المطلب الأول: مفهوم آداب الضيافة.

المطلب الثاني: دلائل أهمية الضيافة في الكتاب والسنة.

المبحث الثاني: قصة أضياف إبراهيم عليه السلام كما وردت في القرآن الكريم وينقسم إلى مطلبين:

المطلب الأول: مواطن قصة ضيف إبراهيم عليه السلام ومناسبتها في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: ضيافة إبراهيم عليه السلام للملائكة عليهم السلام.

المبحث الثالث: دراسة تطبيقية لآداب الضيافة كما تحدثت عنها قصة إبراهيم عليه السلام. وينقسم إلى مطلبين:

المطلب الأول: آداب استقبال الضيف.

المطلب الثاني: آداب إطعام الضيف.

الخاتمة وتشتمل على:

أ- أهم نتائج البحث.

ب - فهرس المراجع.

جـ- فهرس الموضوعات.

المبحث الأول

مفهوم آداب الضيافة ودلائل أهميتها في الكتاب والسنة

وينقسم إلى مطلبين:

المطلب الأول: مفهوم آداب الضيافة.

المطلب الثاني: دلائل أهمية الضيافة في الكتاب والسنة.

-المطلب الأول-

مفهوم آداب الضيافة

الآداب في اللغة: جمع أدب ، يقول ابن فارس: الهمزة والدال والباء : أصل واحد ، تتفرع مسائله وترجع إليه: فالأدب ؛ أن تجمع الناس إلى طعامك. وهي المأدَبةُ والمأدُبةُ والآدِبُ الداعي[1].

الآداب في الاصطلاح: «اجتماع خصال الخير في العبد، ومنه المأدبة ، وهي الطعام الذي يجتمع عليه الناس»[2].

الضيافة في اللغة: «مصدر ضاف، يقال: ضِفْتُ الرجل ضيفاً وضِيافةً -بالكسر- وتَضَيَّفْتُه: نزلت به ضَيْفا ومِلْتُ إليه» وقيل: نزلت به وصِرْت له ضيفاً. وضِفْتُه وتَضَيَّفْتُه: طلبت منه الضِّيافَة.

والضَّيْفُ: المُضَيَّف يكون للواحد والجمع كعدلٍ وخَصْم وفي التنزيل العزيز: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾﴾ وفيه ﴿قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾﴾[3].

«والضيف من مال إليك نازلاً بك»[4]

وجمع القلة للضيف : أضياف، وجمع الكثرة : ضيوف وضيفان[5].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، كتاب الألف، باب الهمزة والدال، وما معها في الثلاثي، (١/ ٧٤).

(٢) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، (٢/ ٣٥٦،٣٥٥).

(٣) سورة: الحجر، من الآية (٦٨).

(٤) المفردات في غريب ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، مادة: ضيف، ص٣٣٠.

(٥) انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة ضيف، باب الفاء، فصل الضاد (٩/ ٢٠٨-٢٠٩).

ومن ثم يمكن القول ، بأن الضيافة في اللغة يراد بها: «نزول شخص عند أخر ، دعي أم لم يدع»[1].

مفهوم الضيافة:-

أما الضيافة في الاصطلاح فلم أعثر - بعد البحث- على تعريف لها عند المفسرين وكأنهم استغنوا عن ذلك لشهرتها لغة ، إلا أنهم اختلفوا في تعريف الضيف إلى ثلاثة أقوال وهي:

القول الأول: ما ذهب إليه أكثر المفسرين بأن الضيف: هو النازل عند غيره ، دعي أو لم يدع. وقال الراغب الأصفهاني والفيروز آبادي: (الضيف: من مال إليك نازلا بك)[2].

وذهب إلى مثل هذا أو قريب منه الماوردي[3]، والزمخشري[4]، وابن الجوزي[5]، والرازي[6]، والقرطبي[7]، والألوسي[8].

القول الثاني: ما ذكره أبو حيان الأندلسي[9] والشوكاني[10] وابن عاشور[11] أن (الضيف: هو النازل في منزل أحد نزولاً غير دائم ؛ لأجل مرور من سفر أو إجابة دعوة).

- القاموس المحيط للفيروز أبادي، مادة ضيف، باب الفاء، فصل الضاد، (٣/ ٤٨٩).

(١) القاموس الإسلامي، لأحمد عطية (٤/ ٤١١).

(٢) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، مادة، ضيف، ص٣٣٠.

- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي، مادة ضيف، باب الفاء، فصل الضاد (٣/ ٤٨٩).
- تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، لسميح عاطف الزين، ص:٥٣٠.

(٣) ينظر: النكت والعيون، للماوردي، (٥/ ٣٦٩).

(٤) ينظر: الكشاف، للزمخشري، (٢/ ٦٨٨).

(٥) ينظر: زاد المسير، لابن الجوزي، (٥/ ١٧٥).

(٦) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي، (٢١/ ١٣٣).

(٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٩/ ٦٤).

(٨) ينظر: روح المعاني، للألوسي، (٩/ ١٦/ ٨).

(٩) ينظر: البحر المحيط، لأبى حيان الأندلسي، (٢/ ١٣٧).

(١٠) ينظر: فتح القدير، للشوكاني، (٣/ ١٣٦).

(١١) ينظر: تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، (١٢/ ١٢٨).

القول الثالث: ما ذكره البقاعي[1] بقوله: «الضيف: هو المنضم إلى غيره لطلب القِرَى» والذي أراه أن التعريف الأول هو الراجح، لأنه لم يعلق الضيف على سبب معين، بخلاف التعريفين الأخيرين، إذ علقا الضيف على السفر، أو إجابة الدعوة، أو طلب القِرى، والخلاصة: أنه يمكن تعريف الضيافة بأنها: اسم لإكرام الضيف، والميل إليه والاستئناس به وإضافتهم[2].

يؤيد هذا حديث النبي ﷺ، فقد روى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة، قال خرج رسول الله ﷺ، ذات يوم وليلة، فإذا هو بأبى بكر وعمر... فأتوا رجلا من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة، فقالت: مرحبا، وأهلا، فقال لها رسول الله ﷺ، أين فلان؟. قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء، اذ جاء الأنصاري، فنظر إلى رسول الله ﷺ، وصاحبيه ثم قال: الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافا مني..[3].

نتبين مما سبق: أنه إذا جاء شخص ودخل بيتك، وإن كان غير مسافر دعي أو لم يدع فهو ضيف وعليك إضافته.

كما نستنتج مما سبق تعريف آداب الضيافة فنقول: اجتماع خصال الخير وفق الكتاب والسنة في المضيف لضيافة الضيف سواء دعي أو لم يدع.

المطلب الثاني

دلائل أهمية الضيافة في الكتاب والسنة

دلت الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة على أهمية الضيافة، وأنها من مكارم الأخلاق ومحاسن العادات، بل دلت بعض الأدلة على أنها كانت في الأمم السابقة، ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

أولاً: من القرآن الكريم: (دلت آيات كثيرة على أن الضيافة كانت موجودة في الأمم السابقة، وأقرتها الشريعة الإسلامية أيضا، ومن تلك:

---

(١) نظم الدرر، للبقاعي (٤/ ٣٥٧).

(٢) نيل الأوطار، للشوكاني (٦/ ٢٢).

– ينظر: الموسوعة الفقهية (٢٨/ ٣١٦).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الأشربة، باب – جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك، (١٣/ ٢١٢) ح٢٠٣٨، النووي.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾[٦].

وجه الدلالة: تتحدث هذه الآيات الكريمات عن ثناء الله تعالى في كتابه العزيز عن زيادة كرم وسخاء سيدنا إبراهيم عليه السلام في إكرام ضيفه من الملائكة وهو لا يعرفهم – ولكن استبان له ذلك فيما بعد، حين رأى أيديهم لا تصل إلى الطعام[٧] – وقد سمى الله تعالى ملائكته بالضيف المكرمين ؛ وهذا على أحد القولين : أنه إكرام إبراهيم لهم، والثاني: أنهم المكرمون عند الله ، ولا تنافي بين القولين[٨]. وقد قام لهم بالضيافة على أحسن ما يكون.

وقال تعالى: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ ﴾[٩][١٠].

---

(٤) سورة هود الأية (٦٩).
(٥) سورة الحجر الأيات (٥١–٥٢).
(٦) سورة الذاريات الأيات (٢٤–٢٥).
(٧) البحر المحيط، لأبى حيان الاندلسي (٩/ ٥٥٦).
(٨) المرجع السابق (٩/ ٥٥٥).
وينظر: جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، لابن قيم الجوزية، ت ٧٥١هـ، ص ٢٧١.
(٩) سورة الكهف: الآية (٧٧).
(١٠) في تلك الآية الكريمة تبيان لموقف من المواقف التي تعرض لها رسول الله موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام حينما مراً على قرية وطلبا طعاما فامتنع أهل تلك القرية عن إطعامهم، وكان التعبير القرآني الجميل (فأبوا) دليلا على شدة بخلهم ولؤمهم . قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾ إسناد الإرادة هاهنا إلى الجدار على سبيل الاستعادة فإن الإرادة في المحدثات بمعنى الميل، والانقضاض هو: السقوط. وقوله ﴿ فَأَقَامَهُۥ ﴾ أي: فرده إلى حالة الاستقامة... فعند ذلك قال موسى له : ﴿ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ –سورة الكهف–، من الأية ٧٧– أي لأجل أنهم لم يضيفونا كان ينبغي ألا تعمل لهم مجاناً"....
– تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥/ ١٨٤–١٨٥).

وجه الدلالة: في موضوعنا هو: مشروعية سؤال الضيافة، بدليل قول الله تعالى: ﴿فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ وإنما عبر المولى سبحانه وتعالى بـ﴿ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا﴾ دون استضافا، للإشارة إلى أن جل قصدهما الطعام دون الميل بهما إلى منزل والإيواء إلى محل[1].

يقول الإمام القرطبي: «والاستطعام : سؤال الطعام ، والمراد به – هنا – ؛ سؤال الضيافة»[2]

ثانياً: السنة النبوية:

روى البخاري بسنده عن معتمر بن سليمان قال: حدثنا أبي ، حدثنا أبو عثمان عن عبدالرحمن بن أبي بكر: أن أصحاب الصفة كانوا أناساً فقراء، وأن النبي ﷺ.

قال: من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، وإن أربع فخامس أو سادس. وإن أبا بكر جاء بثلاثة فانطلق النبي ﷺ بعشرة. قال: فهو أنا وأبي وأمي – فلا أدري قال: وامرأتي– وخادم بيننا وبين بيت أبي بكر. وإن أبا بكر تعشى عند النبي ﷺ ثم لبث حيث صليت العشاء ثم رجع فلبث حتى تعشى النبي ﷺ فجاء بعد ما مضى من الليل ما شاء الله. قالت له امرأته: وما حبسك عن أضيافك – أو قالت ضيفك– قال: أو ما عشيتيهم؟ قالت: أبوا حتى تجئ، قد عُرِضوا فأبوا. قال: فذهبت أنا فاختبأت[3]. فقال يا غُنثر[4] – فجدع وسب[5]– وقال: كلوا لا هنيئا[6]. فقال: والله لا أطعمه أبداً. وأيم الله،

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، للألوسي، (٨/ ٣٢٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (١١/ ٢٤).

(٣) قوله: «فاختبأت»: أي خوفا من خصام أبي بكر له وتَغَيُّظِه عليه.
– فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني،(٧/ ٢٩٩).

(٤) قوله: «غُنْثر»: أن معناه الذباب ، وإنه سُمي بذلك لصوته ، فشبهه به ؛ حيث أراد تحقيره وتصغيره وقال غيره : معنى الرواية المشهورة : الثقيل الوخيم ، وقيل : الجاهل ، وقيل : السفيه ، وقيل : اللئيم ، وهو مأخوذ من الغثر ونونه زائدة.
– فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، (٧/ ٢٩٩).

(٥) قوله: «فجدع وسب»: أي دعا عليه بالجدع وهو قطع الأُذُن أو الأنف أو الشَّفَة.
– فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني،(٧/ ٢٩٩).

(٦) قوله: كلوا ، لا هنيئاً أي : لا أكلتم هنيئاً ، وهو دُعاءٌ عليهم ، وقيل: خبر ، أي لم تتهيئوا من أول نضجه... ويقال : إنه خاطب بذلك أهله لا الأضياف ، وقيل: لم يُرد الدعاء ، وإنما أخبر أنهم

ما كنا نأخذ من لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها. قال: يعني حتى شبعوا، وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك. فنظر إليها أبو بكر فإذا هي كما هي أو أكثر. فقال لامرأته: يا أخت بني فراس ، ما هذا؟ قالت: لا وقرة عيني، لهي الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات. فأكل منها أبو بكر وقال: إنما كان ذلك من الشيطان – يعني يمينه – ثم أكل منها لقمة، ثم حملها إلى النبي ﷺ فأصبحت عنده. وكان بيننا وبين قوم عقد، فمضى الأجل ففرقنا اثنا عشر رجلا مع كل رجل منهم أناس ، الله أعلم كم مع كل رجل، فأكلوا منها أجمعون[1].

وجه الدلالة: دل الحديث على أمور كثيرة ، منها:

«وفيه فضيلة الإيثار والمواساة ، وأنه عند كثرة الأضياف يوزعهم الإمام على أهل المحلة ، ويعطي لكل واحد منهم ما يعلم أنه يتحمله ، ويأخذ هو ما يمكنه... وفيه بيان ما كان عليه الشارع من الأخذ بأفضل الأمور والسبق إلى السخاء والجود... وفيه: أن الولد والأهل يلزمهم من خدمة الضيف ما يلزم صاحب المنزل... وفيه : ما كان عليه أبو بكر رضي الله عنه من حبه للنبي ﷺ والانقطاع إليه وإيثاره في ليله ونهاره على الأهل والأضياف...[2].

روى البخاري بسنده: عن أبي هريرة رضي الله عنه: **«أن رجلا أتى النبي ﷺ، فبعث إلى نسائه[3]، فقلن: ما معنا إلا الماء[4]، فقال: رسول الله ﷺ من يضم – أو يضيف هذا؟[5] فقال رجل من الأنصار: أنا. فانطلق به إلى امرأته فقال: أكرمي ضيف**

فاتهم الهناء به إذ لم يأكلوه في وقته. –المرجع السابق، نفس الصفحة.

(١) أخرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب السمر مع الأهل والضيف، (٢/ ٢٧٤)، ح/ ٦٠٢، فتح الباري.

(٢) عمدة القاري، لبدر الدين العيني، (٥/ ١٠١).

(٣) قوله عليه الصلاة والسلام: (فبعث إلى نسائه) أي يطلب منهن ما يضيفه به. (فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني (٧/ ٤٩٥).

(٤) قوله عليه الصلاة والسلام: (فقلن ما معنا) أي ما عندنا (إلا الماء) وفي رواية جرير «ما عندي» وفيه ما يشعر بأن ذلك كان في أول الحال قبل أن يفتح الله لهم خيبر وغيرها. –المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٥) قوله: (من يضم أو يضيف) أي يؤوي هذا فيضيفه. المرجع السابق نفس الصفحة.

رسول الله ﷺ. فقالت: ما عندنا إلاقوت صبياني. فقال: هيئي طعامك، وأصبْحي سِراجَك، ونومي صبيانك، إذا أرادوا عشاء. فهيأت طعامها، وأصبحت سراجها، ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين. فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال: ضحك الله الليلة -أو عجب[1]-من فعلكما. فأنزل الله ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾»[2][3].

هذا الحديث مشتمل على فوائد كثيرة: «منها: أنه ينبغي لكبير القوم أن يبدأ في مواساة الضيف ومن يطرقهم بنفسه فيواسيه من ماله أولاً بما يتيسر إن أمكنه، ثم يطلب له على سبيل التعاون على البر والتقوى من أصحابه. ومنها: المواساة في حال الشدائد. ومنها فضيلة إكرام الضيف وإيثاره. ومنها منقبة لهذا الأنصاري وامرأته رضي الله عنهما. ومنها: الاحتيال في إكرام الضيف إذا كان يمتنع منه رفقاً بأهل المنزل لقوله: (أطفئي السراج وأريه أنا نأكل) فإنه لو رأى قلة الطعام وأنهما لا يأكلان معه لامتنع من الأكل»[4].

ثالثاً: الإجماع.

لا خلاف بين العلماء في مشروعية الضيافة إذ «أنها من مكارم الأخلاق، ومن آداب الإسلام، ومن خلق النبيين والصالحين»[5] وكانت مفخرة من مفاخر العرب في الجاهلية.

ومن أمثال العرب: «لم يُحرم القِرى من فصد[6] له.... وتأويل هذا أن الرجل

---

(١) المراد بهما الرضا بصنيعها. المرجع السابق (٧/ ٤٩٦).

(٢) سورة الحشر: الأية ٩.

(٣) أخرجه البخاري – كتاب: مناقب الأنصار، باب: قول الله ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، سورة الحشر، من الآية ٩، (٧/ ٤٩٥)، ح/ ٣٧٩٨، فتح الباري.

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، (١٤/ ١٢).

(٥) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٩/ ٦٤).

– ينظر: أحكام القرآن لابن العربي، (٣/ ٢٠).

(٦) فَصَدَ: شق العرق. لسان العرب، لابن منظور، مادة: فصد، فصل الفاء، باب الدال. (٣/ ٣٣٦).

كان يُضِيفُ الرجل في شدة الزمان ، فلا يكون عنده ما يَقْرِ به، ويشحُ أن ينحر راحلته فيفْصِدُها فإذا خرج الدم سخنه للضيف إلى أن يجمد ويقوى فيطعمهُ إياه»[١]

وهذا يدل على مدى اهتمام العرب بحق الضيافة حتى على الفقير منهم.

وكانت الضيافة تشمل إطعام النزيل وحمايته والدفاع عنه ، ولما جاء الإسلام أقر الضيافة بعد أن وضع ما يتعلق بها من أحكام[٢].

يقول النووي –رحمه الله– «الأحاديث متظاهرة على الأمر بالضيافة والاهتمام بها وعظيم موقعها ، وقد **أجمع** المسلمون على الضيافة ، وأنها من متأكدات الإسلام»[٣]

قال أبو عمر القرطبي: «لا أعلم خلافاً بين العلماء في مدح مضيف الضيف وحمده والثناء بذلك عليه ، وكلهم يندب إلى ذلك ويجعله من مكارم الأخلاق وسنن المرسلين لأنه ثبت أن إبراهيم عليه السلام أول من ضيف الضيف ، وحض رسول ﷺ على الضيافة وندب إليها»[٤].

المبحث الثاني

قصة أضياف إبراهيم عليه الصلاة والسلام كما وردت في القرآن الكريم، وينقسم إلى مطلبين:

المطلب الأول: مواطن قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ومناسبتها في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: ضيافة إبراهيم عليه الصلاة والسلام للملائكة عليهم السلام.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) ينظر: أحكام القرآن، لابن العربي، (٣/ ٢٠).

– ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم، لأبى زكريا النووي، (١٢/ ٣٠).

– ينظر: نيل الأوطار، لشوكاني، (٨/ ١٧٨).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبى زكريا النووي، (١٢/ ٣٠).

– ينظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لأبى العلاء محمد المباركفوري (٦/ ٨٧).

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبى عمر القرطبي، (٢١/ ٤٣).

المطلب الأول

مواطن قصة ضيف إبراهيم عليه الصلاة والسلام ومناسبتها في القرآن الكريم

ذكرت قصة ضيف إبراهيم عليه السلام في أكثر من موطن في القرآن الكريم وهي:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[3].

ولا تناقض بين هذه المواضع فقد يُذكر جانبٌ من القصة في موطن بحسب السياق الذي ترد فيه ومناسبتها لما قبلها وما بعدها من الآيات، والغرض الذي يراد منها ويذكر جانب في موطن آخر بحسب ما يراد من الغرض وموطن العبرة، لأن الله تبارك وتعالى لا يذكر القصة في موضع إلا لحكمة يريدها الله جل وعلا، ولإرادة معنى، وهذا يعيننا كثيراً على التدبر.

هذا، وقبل التعرف على مناسبة قصة ضيف إبراهيم عليه الصلاة والسلام في هذه المواطن التي ذكرت في القرآن الكريم سأذكر تعريف المناسبات لغة واصطلاحاً.

المناسبات في اللغة: قال ابن فارس: «النون والسين والباء، كلمة واحدة، قياسها اتصال شيء بشيء منه النسب، سُمي لاتصاله، وللاتصال به»[4].

المناسبات في الاصطلاح: علم منه تُعرف علل الترتيب في القرآن الكريم[5].

ففي قوله تعالى في سورة هود: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ ﴾

---

(١) سورة هود الأية (٦٩).
(٢) سورة الحجر الأيات (٥١-٥٢).
(٣) سورة الذاريات الأيات (٢٤-٢٥).
(٤) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة نسب، (٥/ ٢٣).
(٥) انظر البرهان في علوم القرآن، للزركشي (١/ ٣٥).

الأيات، مناسبة هذه الأيات لما قبلها: أن الله سبحانه لما ذكر قصة صالح عليه السلام، على هذا الوجه الرائع، أتبعها قصة لوط عليه السلام إذ كانت أشهر الوقائع بعدها، وهي أفظع منها وأروع، وقدم عليها ما يتعلق بها من أمر إبراهيم عليه السلام، ذكر بشراه لما في ذلك كله من التنبيه لمن تعنت بطلب انزال الملائكة في قولهم ﴿ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ﴾[1] على أن ذلك ليس عزيزاً عليه. وقد أكثر من فعله ولكن نزولهم مرهب، وأمرهم عند المكاشفة مرعب، وأما مع الستر فلا يقطع تعنتهم، هذا مع ما في ذلك من مناسبة أمر هذا الولد لأمر الناقة في تكوين كل منهما بخارق للعادة إشارة إلى تمام القدرة وكمال العلم المبني عليه أمر السورة في إحكام الكتاب وتفصيله، وتناسب جدالي نوح وإبراهيم عليهما السلام في أن كلاً منهما شفقة على الكافرين، ورجاء لنجاتهم من العذاب بحسن المثاب، ولعله سبحانه كرر «لقد» في صدرها عطفاً على ما في قصة نوح من التنبيه على مثل الأغراض؛ لأن «قد» للتوقع فجاءت لتؤذن بأن السامع في حال توقع لذلك؛ لأنه إذا انقضت قصة الخير عما بعدها فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ﴾ قال الرماني: ودخلت اللام لتأكيد الخير، كما يؤكد القسم[2].

أما قوله تعالى سورة الحجر: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ ﴾، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه لما أتم شرح قوله: ﴿ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾[3] وما تبعه من الدلالة على البعث، شرع في شرح ﴿ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[4] بقصة الخليل عليه السلام وما بعدها مع الوفاء بذكر المعاد، تارة تلويحاً وتارة تصريحاً، والرجز عن الاجتراء على طلب الإتيان بالملائكة عليهم السلام، والالتفات إلى قوله: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾[5] في أسلوب شارح لما تعقبه هذه القصة، فإن حصول القنوط سبب لآية المغفرة، والإخبار بعذاب الأمم تمثيل لآية العذاب؛ ليزدجر المخاطبون، وأفراد لهم ذكر من هو أقرب إلى بلادهم ممن

---

(١) سورة: هود، من الآية (١٢).
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (٩/ ٣٢٨).
(٣) سورة: إبراهيم، من الآية (٥٢).
(٤) سورة: إبراهيم، من الآية (٥٢).
(٥) سورة إبراهيم من الآية (٣٩).

يعرفونه من المعذبين ؛ لأنه أوقع في النفس، فقال تعالى: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ ﴾ أي خبرهم إخباراً عظيماً ﴿ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴾... ولما كان طلبهم في هذه الصورة للملائكة على وجه أوكد مما في سورة هود عليه السلام، أشار لهم إلى ما في رؤية الملائكة من الخوف ولو كانوا مبشرين ، وفي أحسن صورة من صور البشر – بقوله: ﴿ قَالَ ﴾ بلسان الحال أو القال: ﴿ إِنَّا ﴾ أي ومن عندي ﴿ مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴾ وأسقط ذكر جوابه بالسلام، ولا يقدح ذلك فيما في سورة هود وغيرها من ذكره، فإن إذ ظرف زمان بمعنى حين، والحين قد يكون واسعاً، فيذكر ما فيه تارة جميعه على ترتيبه، وأخرى على غير ذلك، وتارة بعضه مع إسقاط بعض ، مع صدق جميع وجوه الإخبار ؛ لكونه كان مشتملاً على الجميع، وتكون هذه التصرفات على هذه الوجوه لمعانٍ يستخرجها من أراد الله»[1].

وأما قوله تعالى في سورة الذاريات: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه «لما ذكر إنكار قومه بالبعث والنشور، حتى أقسم لهم بعزته أنه كائن لا محالة... سلى رسوله ﷺ، فأبان له أنه ليس ببدع في الرسل، وأن قومه ليسوا ببدع في الأمم، وأنهم إن تمادوا في غيهم، وأصروا على كفرهم، ولم يقلعوا عما هم عليه.. فسيحل بهم مثل ما حل بمن قبلهم من الأمم الخالية.

وذكر إبراهيم عليه السلام من بين الأنبياء؛ لكونه شيخ المرسلين، وكون النبي ﷺ على سننه، كما قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[2] ولأن العرب كانت تجله وتحترمه، وتدعي أنها على دينه.

وأتى بالقصص بأسلوب الاستفهام، تفخيماً لشأن الحديث، كما تقول لمخاطبك: هل بلغك كذا وكذا؟ وأنت تعلم أنه لم يبلغه؛ توجيهاً لأنظاره حتى يصغى إليه ويهتم بأمره، ولو جاء على صورة الخبر، لم يكن له من الروعة والجلال مثل ما كان وهو

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (١١/ ٦٤).
(٢) سورة آل عمران، الآية (٦٧).

بهذه الصورة ؛ تنبيهاً إلى أن الرسول لم يعلم به إلا من طريق الوحي[1].

نستنتج مما سبق: أن قصة ضيف إبراهيم جاء ذكرها في مواطن ثلاثة في القرآن الكريم ، لغرض مناسب سيقت له السورة.

يقول السيوطي: الأمر الكلي لمعرفة مناسبات الآيات في جميع القرآن: أن يُنظر إلى الغرض الذي سيقت له السورة، ثم يُنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، ثم يُنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبُعد من المطلوب، كما يُنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراق نفس السامع إلى الأحكام، أو اللوازم التابعة له، التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها[2].

نتبين مما سبق: أن هذه المواطن التي ذكرت فيها قصة ضيف إبراهيم تجعلنا أمام قصة متكاملة الأطراف لا تناقض فيما بينها.

المطلب الثاني

ضيافة إبراهيم عليه السلام للملائكة عليهم السلام

تفصح الآيات السابقة أن الملائكة جاءت في الصفة التي يحبها إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهي صفة الأضياف، فلم يعرفهم ، مع أنه الخليل ، بل أنكرهم كما قال تعالى في الذاريات: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ٢٥﴾ [3] «فيحمل إنكاره أولاً على الاستغراب ، بمعنى أنه لم ير عليهم زي أهل تلك البلاد ولا أثر سفر...، ومع ذلك أكرم نزلهم وذهب يفعل ما طبعه الله عليه من سجايا الكرم وأفعال الكرام في أدب الضيافة»[4] قال تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ٢٧﴾[5] «فإنه جاء

---

(١) تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي (٢٦/ ١٨٢-١٨٣).
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٤٦م.
(٢) الاتقان في علوم القرآن، للحافظ جلال الدين السيوطي، (٣/ ٣٢٥).
(٣) سورة الذاريات، من الآية (٢٥).
(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (٩/ ٣٢٩).
(٥) سورة الذاريات الآية: ٢٦، ٢٧.

بطعام من حيث لا يشعرون بسرعة، ولم يمتن عليهم أولاً فقال: نأتيكم بطعام ، بل جاء به بسرعة وخفاء ، وأتى بأفضل ما وجد من ماله وهو عجل[١] فتي[٢] مشوي، فقربه إليهم لم يضعه وقال اقتربوا بل وضعه بين أيديهم ولم يأمرهم أمراً يشق على سامعه بصيغة الجزم بل قال: ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ على سبيل العرض والتلطف»[٣].

كل ذلك «وهو لا يعرف أنهم ملائكة، بل هو قاطع بأنهم ممن يأكل، وهذا ناظر الى قول قوم نوح ﴿ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ ﴾[٤] وقوله ﴿ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ ﴾[٥] الآية، أي إن الله جعل المعاني في القلوب وناط بها السعادة والشقاوة، وقد تخفي تلك المعاني كما خفي على أكمل أهل ذلك الزمان أن ضيفه ملائكة حتى خاف منهم وقد أتوه بالبشرى، فلا ينبغي لأحد أن يحتقر أحداً إلا بما أذن الله فيه»[٦].

نستنتج مما سبق: زيادة كرم وسخاء إبراهيم عليه السلام مع ضيوفه وهو لا يعرفهم.

«قال عطاء: وكان إبراهيم إذا أراد أن يتغذى أو يتعشى خرج الميل والميلين والثلاثة فيطلب من يأكل معه.

قال عكرمة: وكان إبراهيم يكنى أبا الضيفان ، وكان لقصره أربعة أبواب ؛ لكي لا يفوته أحد»[٧].

هذا ومع كرم وسخاء إبراهيم عليه السلام مع ضيوفه كانت المفاجأة العجيبة التي بينتها الآيات التي تحدثت عن قصة ضيف إبراهيم عليه السلام.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ ﴾[٨].

---

(١) عجل: ولد البقر لتصور عجلتها التي تعدم منه إذا صار ثوراً.
– المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني ص: ٣٥٥.
(٢) فتي: الطريُّ. انظر المرجع السابق ص: ٦٢٥.
(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٧/ ٤٢١).
(٤) سورة: هود، من الآية ٢٧.
(٥) سورة: هود، من الآية ٣١.
(٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (٩/ ٣٢٩–٣٣٠).
(٧) تفسير النكت والعيون، للماوردي (٥/ ٣٦٩).
(٨) سورة هود الأية (٧٠).

يقول ابن جرير الطبري: «فلما رأى إبراهيم أيديهم لا تصل إلى العجل الذي أتاهم به والطعام الذي قدم إليهم نكرهم، وذلك أنه لما قدم طعامه ﷺ فيما ذكر، كفُّوا عن أكله؛ لأنهم لم يكونوا ممن يأكله، وكان إمساكهم عن أكله عند إبراهيم وهم ضيفانه مستنكراً، ولم تكن بينهم معرفه، وراعه أمرهم، وأوجس – في نفسه – منهم خيفة[1].

قال قتادة: وكانت العرب إذا نزل بهم ضيف فلم يطعم من طعامهم، ظنوا أنه لم يجئ بخير، وأنه يحدّث نفسه بشر!![2]

وقوله تعالى: ﴿ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾: أي: أحسّ في نفسه خيفة وأضمرها.

وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ ﴾. أي: قالت الملائكة لما رأت ما بإبراهيم من الخوف منهم: لا تخف منا وكن آمنا، فإنا ملائكة ربك أرسلنا إلى قوم لوط»[3].

–أما في قوله تعالى: ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾[4]

– قوله: ﴿ قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ أي خائفون، فإن الوجل اضطراب النفس لتوقع مكروهٍ، قاله عليه الصلاة والسلام حين امتنعوا من أكل ما قربه إليهم من العجل الحنيذ[5]. ثم عللوا ذلك بقولهم مؤكدين لقلع ما في نفسه من الوجل المنافي للبشرى ﴿ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾ أي ولد ذكر هو في غاية القوة، وليس هو كأولاد الشيوخ ضعيفا، ولما كان خوفه لخفاء أمرهم عليه، كان للوصف بالعلم في هذا السياق مزيد. فقالوا: ﴿ عَلِيمٍ ﴾[6].

ولم يتصد عليه الصلاة والسلام لتقريب الطعام إليهم، وإنما لم يذكر ههنا اكتفاءً بما بيّن في غير هذا الموضع، ألا يرى إلى أنه لم يُذكر ههنا رده عليه الصلاة

---

(١) جامع البيان في تأويل أي القرآن، لابن جرير الطبري، (١٢/ ٤٧٠).
(٢) المرجع السابق (١٢/ ٤٧١).
(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.
(٤) سورة الحجر، الآية (٥٢–٥٣).
(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبى السعود، (٥/ ٨١).
(٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (١١/ ٦٦).

والسلام[1].

يقول البقاعي عند ذكر هذه الأية وأسقط ذكر جوابه بالسلام، ولا يقدح ذلك فيما في سورة هود وغيرها من ذكره، فإن إذ ظرف زمان بمعنى حين، والحين قد يكون واسعا، فيذكر ما فيه تارة. جميعه على ترتيبه، وأخرى على غير ذلك وتاره بعضه مع إسقاط بعض منه مع صدق جميع وجوه الإخبار يكونه كان مشتملا على الجميع وتكون هذه التصرفات على هذه الوجوه لمعانٍ يستخرجها من أراد الله[2].

ويعلل سيد قطب رحمه الله عدم ذكر رد السلام على الملائكة وعدم إحضار العجل – كما تقدم كل ذلك في سورة هود – فيقول: كما أنه لم يذكر لنا السبب ؛ لأن المجال هنا مجال تصديق الرحمة التي ينبئ الله بها عبادة على لسان رسوله بقوله: ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[3].

لا مجال لتفضيلات قصة إبراهيم.. ﴿ قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ ﴾.. وهكذا عجلوا له البشرى، وعجل بها السياق دون تفصيل[4].

–أما في سورة الذاريات قوله تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُواْ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

ولما لم يأكلوا سبب عنه قوله: ﴿ فَأَوْجَسَ ﴾ أي أضمر الحال في جميع سره ﴿ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ ﴾ لأجل إنكاره عدم أكلهم فإنه لما رأى إعراضهم عن الطعام ذهب وهمه في سبب إتيانهم إليه كل مذهب ﴿ قَالُواْ ﴾ مؤنسين له: ﴿ لَا تَخَفْ ۖ ﴾ وأعلموه بأنهم رسل الله ﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ ﴾[5] وقد يتساءل بعضهم: لم خصت كل آية – في سورة هود والذاريات – بما فيها بعد قوله: ﴿ قَالُواْ لَا تَخَفْ ۖ ﴾ .

نجد في آية هود وردت في سياق قائم على بيان إنجاء الله المؤمنين وإهلاك الكافرين؛ فناسبه ذكر ما يتعلق بهلاك قوم لوط وتقديمهم على التبشير بولادة

---

(١) المرجع السابق نفس الصفحة.
(٢) المرجع (١١/٦٥-٦٦).
(٣) سورة الحجر، الآية (٤٩).
(٤) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤، ٢١٤٧، ٢١٤٨).
(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (١٨/٤٦٣).

إسحاق عليه السلام بقوله: ﴿ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ ﴾ الآيات، أما آية الذاريات فقد وردت في سياق أكثر تعلقا بإنعام الله على عباده بالرزق؛ فناسب التبشير بولادة إسحاق عليه السلام وتقديمه على ما يتعلق بهلاك قوم لوط بقوله: ﴿ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٢٨﴾ ﴾ [1].

نستنتج مما سبق: دقة وصف القرآن الكريم لمشاعر إبراهيم عليه السلام مع ضيفة من الملائكة حين تقديم الطعام لهم وامتناعهم عن الأكل، وكذلك كانت مسارعة الملائكة في البشارة بإهلاك قوم لوط، وبولادة إسحاق الموصوف بالغلام العليم سبباً في تأمينه وتطمينه من عدم أكلهم لطعامه عليه الصلاة والسلام بما فيها بعد قوله: ﴿ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ ﴾.

فقد روى عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كان أول من ضيف الضيف إبراهيم»[2].

فهو عليه الصلاة والسلام أول من ضيف الضيف، وأول من سمي أبا الضيفان[3].

المبحث الثالث

دراسة تطبيقية لآداب الضيافة كما تحدثت عنها قصة إبراهيم عليه السلام

وينقسم إلى تمهيد ومطلبين:

المطلب الأول: آداب استقبال الضيف.

المطلب الثاني: آداب إطعام الطعام.

تمهيد:

قال تعالى: ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ

---

(١) استدراك ما فات من بلاغة الآيات المتشابهات، د/ سعد عبدالعظيم محمد، ص٦٠٦.

(٢) رواه الشيباني في الأوائل، ك/ الأوائل لابن أبي عاصم، ب/ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم برقم (١٨)، (١/٦٣)، وقال بعد ما روي الحديث: إسناده لا بأس به، ورجاله موثوقون، وشعب الإيمان للبيهقي (٦/٣٩٥)، والدر المنثور، للسيوطي (١/٢٨٣).

(٣) جلاء الأفهام، لابن قيم الجوزية، ص: ٢٧١.

– وينظر: غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، للسفاريني (٢/١٤٨).

سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[1].

«عهدي بك أيها القارئ أنك «إذا قرأت هذه الآيات، وتطلعت إلى معناها وتدبرتها، فإنما تطلع على أن الملائكة أتوا إبراهيم في صورة أضياف، وبشروه بغلام، وأن إمرأته عَجِبتْ من ذلك، فأخبرتها الملائكة أن الله قال ذلك، ولم يجاوز تدبرك غير ذلك».

فاسمع الآن بعض ما في هذه الآيات من الأسرار، وكم قد تضمنت من أنواع الثناء على إبراهيم؟ وكيف جمعت آداب الضيافة وحقوقها؟ وكيف يُراعى الضيف؟...»[2][3].

المطلب الأول

آداب استقبال الضيف

١-استحباب الترحيب بالضيف:

- قال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ فإبراهيم عليه الصلاة والسلام وصف ضيفه بأنهم مكرمون، وهذا على أحد القولين أنه إكرام إبراهيم لهم[4] فإن لفظ الضيف يطلق على الواحد والجمع ؛ ولهذا وقع المكرمين صفة الضيف[5].

القول الثاني: أنهم المكرمون عند الله تعالى، ولا تنافي بين القولين ؛ فالآية تدل على المعنيين[6].

يذكر البغوي عند تفسير هذه الأية: لأنهم كانوا ضيف إبراهيم أكرم الخليفة وضيف الكرام مكرمون.

---

(١) سورة الذاريات، الآية (٢٥إلى٣٠).
(٢) الرسالة التبوكية، لابن قيم الجوزية، ص: ٧٢.
(٣) سوف أكتفي بآداب الضيافة التي تراعي مع الضيف من خلال قصة ضيف إبراهيم عليه الصلاة والسلام.
(٤) جلاء الأفهام، لابن قيم الجوزية، ص: ٢٧١.
(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني، كتاب الأدب، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه، (٢٢/ ١٧٤).
(٦) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، لابن قيم الجوزية، ص: ٢٧١.

وقيل: لأن إبراهيم عليه السلام أكرمهم بتعجيل قِراهم والقيام بنفسه عليهم بطلاقة الوجه.

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد: خدمته إياهم بنفسه[1].

وقد بوب الإمام البخاري في كتابه صحيح البخاري عند قوله تعالى: ﴿ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ باب: إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه[2].

ويقول الفخر الرازي: فالإكرام أولاً ممن جاءه ضيف قبل أن يجتمع به ويسلم أحدهما على الأخر أنواع من الإكرام، وهي: اللقاء الحسن، والخروج إليه، والتهيؤ له[3].

نستنتج من ذلك: استحباب استقبال الضيف بطلاقة الوجه، وطيب الكلام، وملاطفته بما يؤانسه، ويجعله يطمئن إلى مضيفه فالضيف بقدر ما تُلقى عليه من التحايا والتراحيب المستعملة شرعاً وعرفاً بقدر ما تدخل عليه السرور والأنس، وهذ صريح فعل النبي ﷺ.

فقد روى البخاري في صحيحه عن أبي جمرة قال: كنت أقعد مع ابن عباس، يجلسني على سريره، فقال أقم عندي حتى أجعل لك سهما من مالي. فأقمت معه شهرين، ثم قال: إن وفد عبد القيس لما أتوا النبي ﷺ قال: من القوم، أو من الوفد؟ قالوا ربيعة، قال مرحبا بالقوم أو بالوفد- غير خزايا ولا ندامى[4]...

يقول ابن حجر العسقلاني: قوله: مرحباً: أي صادفت رحباً أي سعة، ... وقد يزيدون معها أهلاً، أي وجدت أهلاً فاستأنس... وفيه دليل على استحباب تأنيس القادم[5].

٢-استئذان الداخل قبل دخوله:

-قال تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ﴾ «فلم يذكر استئذانهم، ففي هذا دليل على أنه عليه الصلاة والسلام كان قد عرف بإكرام الضيفان واعتياد قِراهم، فبقي منزله مضيفة مطروقاً لمن ورده، لا يحتاج إلى الاستئذان، بل استئذان الداخل دخوله وهذا غاية ما

---

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، (٤/ ٢٨٥).
(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، (١٢/ ١٦٤).
(٣) مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي (٢٨/ ١٧٦).
(٤) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان. باب أداء الخمس من الإيمان، (١/ ١٧٦) ح/ ٥٣، فتح الباري.
(٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، (١/ ١٧٦).

يكون من الكرم»[1]. الذي يدخل السرور على الضيف. ففي فتح الباب قبل وصول الضيف أثر على نفسيته وإظهار الإكرام له.

ولهذا جاء في ذكر دخول أهل الجنة الجنة قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾[2] فأبواب الجنة متقدم فتحها قبل مجيء أهل الجنة لها بدليل قوله تعالى: ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ٥٠ ﴾[3] مفتحة قبل وصولهم ؛ وذلك لأن تقديم فتح الباب في الضيافة على وصول الضيف هو إكرام له.

يذكر القرطبي عند تفسيره هذه الأية[4]: وقد قيل: إن زيادة الواو دليل على أن الأبواب فتحت لهم قبل أن يأتوا ؛ لكرامتهم على الله تعالى. والتقدير: حتى إذا جاءوها وأبوابها مفتحة، بدليل قوله: ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴾[5].

الرد على تحية الضيف بأحسن منها:

لقد حكى لنا القرآن الكريم شيئاً من خلق إبراهيم عليه السلام في رد تحية السلام بأحسن منها قال تعالى: ﴿إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ ﴾[6].

قال أهل المعاني: إن سلام إبراهيم أبلغ من سلام الملائكة[7] فقوله لهم ﴿سَلَٰمٞ﴾ بالرفع، وهم سلموا عليه بالنصب، والسلام بالرفع أكمل ؛ فإنه يدل على الجملة الإسمية الدالة على الثبوت والدوام، والمنصوب يدل على الفعلية الدالة على الحدوث والتجدد، فإبراهيم حياهم أحسن من تحيتهم، فإن قولهم ﴿ سَلَٰمٗاۖ ﴾ يدل على سلمنا سلاماً وقوله ﴿سَلَٰمٞ﴾ أي: سلام عليكم[8]. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم

(١) جلاء الأفهام، لابن قيم الجوزية، ص: ٢٧١.
(٢) سورة: الزمر، الآية (٧٣).
(٣) سورة: ص، الآية (٥٠).
(٤) سورة: الزمر، الآية (٧٣).
(٥) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (١٥/ ٢٨٥).
(٦) سورة: الذاريات، الآية (٢٥).
(٧) فتح القدير، للشوكاني، (٥/ ٨٨).
(٨) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، لابن قيم الجوزية، ص (٢٧٢).

بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾[1] فالخليل اختار الأفضل[2].

هذا وقد ذكر لفظ ﴿ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾ في مواضع من القرآن وهي:

﴿ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ ﴾[3][4].

﴿ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[5].

﴿ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[6].

«لم خُصت كل آية بما فيها من الفصل أو الوصل ومن قول إبراهيم u؟

آية هود بدئت بقوله: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ ﴾؛ فلما كان التقدير فماذا قالوا؟ وأريد الإجابة عنه؛ ناسبه الفصل، ولما كان مجيئهم بالبشرى سبباً للأنس ورد السلام بأحسن منها؛ ناسبه قوله: ﴿ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ ﴾؛ إذ «للرفع مزية على النصب؛ لأنه إخبار عن ثابت، والنصب تجديد ما لم يكن[7]»، أما آيتا الحجر وإبراهيم فقد بدئتا بقوله: ﴿ فَقَالُواْ سَلَٰمًا ﴾؛ ولما كان يسبق آية الحجر قوله: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ ﴾، ولم يذكر فيه ما يزيل الخوف الذي لازمة رد السلام، ناسبه عدم ذكر ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ ﴾، ولما لم يذكر رد السلام؛ ناسبه ذكر سببه بقوله: ﴿ قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴾ ولما كان يسبق آية الذاريات قوله: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾؛ فلما ذكر سلامهم؛ ناسبه ذكر الرد عليه بأحسن منه بقوله:

---

(١) سورة: النساء، الآية (٨٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٧/ ٤٢٠).

(٣) سورة: هود، من الآية (٦٩).

(٤) قال الكرماني: حذف ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ ﴾ من الحجر، لأن هذه السورة متأخرة فاكتفى بها عما في هود لأن التقدير فقالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ، فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قال إنا منكم وجلون فحذف للدلالة عليه[1].

– أقول: ما ذكره الكرماني فيه نظر، لأن سورة الذاريات متأخرة أيضاً عن هود، وعلى الرغم من ذلك ذكر فيه ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ ﴾ ولم يحذف، فترتيب السور حسب النزول: هود، الحجر، الذاريات.

١– البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، للكرماني، ص١٥٦.

٢– ينظر: التفسير الحديث مرتب حسب ترتيب النزول، دروزة، محمد عزة: (سورة هود: ٣/ ٥٠١)، (سورة الحجر (٤/ ٣٤)، (سورة الذاريات: ٥/ ٣٣).

(٥) سورة: الحجر، الآية (٥٢).

(٦) سورة: الذاريات، من الآية (٢٥).

(٧) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (٣/ ٣٢٩).

﴿قَالَ سَلَٰمٞۖ﴾ ولما أريد بيان كرم إبراهيم عليه السلام، وكان إكرام من لم تسبق معرفته أدل على ذلك؛ ناسبه قوله: ﴿قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ٢٥﴾[1]».

وقد جاء شرعنا بتقرير هذه التحية التي هي شرع لمن قبلنا.

يقول ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ﴾[2]: «إذا سلم عليكم المسلم فردوا عليه أفضل مما سلم، أو ردوا عليه بمثل ما سلم، فالزيادة مندوبة، والمماثلة مفروضة»[3].

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**خلق الله أدم على صورته، طوله ستون ذراعا، فلما خلقه قال: واذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يُحيونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه ورحمة الله**»[4].

قال النووي: «وهذا وإن كان شرعاً لما قبلنا فقد جاء شرعنا بتقريره»[5].

قال ولي الدين أبو زرعة العراقي: فيه دليل على تأكد حكم السلام، فإنه مما شرع وكلف به آدم عليه السلام ثم لم ينسخ في شريعة من الشرائع فإنه سبحانه أخبره أنها تحيته وتحية ذريته من بعده، فلم يزل ذلك شرعاً معمولاً به في الأمم على اختلاف شرائعها إلى أن انتهى ذلك إلى نبينا محمد ﷺ فأمر به وبإفشائه، وجعله سببا للمحبة الدينية، ولدخول الجنة العَلِيّة[6].

قلت: هذا وإن كان السلام قد شرع لأمم سابقة علينا – وهذا كما في حديث أدم – فإنه لم يشرع لأمم أخرى كاليهود. فعن عائشة – رضي الله عنها – عن النبي: «ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين»[7].

---

(١) استدراك ما فات من بلاغة الآيات المتشابهات، د/ سعد عبدالعظيم محمد ص: ٦٠٦.
(٢) سورة: النساء، الآية (٨٦).
(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢/ ٣٦٨).
(٤) أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب بدء السلام، (١٢/ ٢٦٢) ح٦٢٢٧.
(٥) الأذكار، للنووي، ص (٢٤٤).
(٦) طرح التثريب في شرح التقريب، لأبى الفضل العراقي وابنه أبي زرعة ولي الدين العراقي (٨/ ٩٩).
(٧) أخرجه ابن ماجه في سننه، باب الجهر بآمين، (١/ ٢٧٩)، خ (٨٨٧) قال البوصيري: هذا إسناد

قال الحافظ ابن حجر: وهذا يدل على أنه شرع لهذه الأمة – يقصد أمة الإسلام – دونهم – أي اليهود –[1].

يذكر الرازي أصل التحية فيقول: «اعلم أن عادة العرب قبل الإسلام أنه إذا لقى بعضهم بعضًا قالو: حياك الله واشتقاقه من الحياة كأنه يدعو له بالحياة، فكانت التحية عندهم عبارة عن قول بعضهم لبعض حياك الله، فلما جاء الإسلام أبدل ذلك بالسلام، فجعلوا التحية اسمًا للسلام. قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾[2][3].

ثم يذكر مزية السلام على التحية فيقول:

"واعلم أن قول القائل لغيره: السلام عليك أتم وأكمل من قوله: حياك الله، وبيانه من وجوه:

الأول: أن الحي إذا كان سليماً كان حيًّا لا محالة، وليس إذا كان حيًّا كان سليمًا، فقد تكون حياته مقرونة بالآفات والبليات، فثبت أن قوله: السلام عليك أتم وأكمل من قوله: حياك الله.

الثاني: أن السلام اسم من أسماء الله تعالى؛ بالابتداء بذكر الله أو بصفة من صفاته الدالة على أنه يريد إبقاء السلامة على عباده أكمل من قوله: حياك الله.

الثالث: أن قول الإنسان لغيره: السلام عليك فيه بشارة بالسلامة"[4]

هذا ، والأحاديث النبوية الدالة على فضل السلام في الإسلام كثيرة ، منها – على سبيل المثال لا الحصر – : ما يلي:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام

صحيح.

انظر: مصباح الزجاجة، للبوصيري، باب الجهر بآمين، (١/ ١٧٦)، ح ٣١٦.

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، (١٠٢/ ٢٦٤).

(٢) سورة: الأحزاب، من الآية (٤٤).

(٣) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، (١٠/ ٢١٥).

(٤) المرجع السابق، نفس الصفحة.

بينكم»[1].

وعن عبدالله بن عمرو: أن رجلا سأل رسول الله ﷺ: «أي الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»[2].

قال ابن علان مبيناً أثره على الفرد والمجتمع: «السلام أول أسباب التألف، ومفتاح استجلاب المودة، وفي إفشائه: تمكين ألفة المسلمين بعضهم ببعض، وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل، مع ما فيه من رياضة النفس، ولزوم التواضع، وإعظام حرمات المسلمين، وفيه: أنه يتضمن رفع التقاطع، والتهاجر والشحناء، وفساد ذات البين التي هي الحالقة، وأن يكون سلامه لله تعالى، ولا يتبع هواه، ويخص به من يعرفه»[3].

نستنتج مما سبق: أن البدء بالسلام قبل الكلام له أثره على النفس فإنها «كلمة إذا سمعت أخلصت القلب الواعي لها عن النفور إلى الإقبال على قائلها»[4] ولهذا كانت الحكمة في بدء الملائكة بها مع إبراهيم عليه السلام.

حسن مخاطبة الضيف:

إن من تمام الخُلق التعرف إلى الضيف، وملاطفته بالكلام اللين، والابتعاد عن عبارات التنفير والمواجهة الخشنة للتدليل على الأنس به.

يقول ابن كثير عن تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾[5]. فقوله: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾[6]. «وذلك أن الملائكة وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل، قدموا عليه في صورة شبان حسان عليهم مهابة عظيمة ولهذا قال

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سبب لحصولها، (٢/ ٣٠) ح (١٥٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب إطعام الطعام من الإسلام، (١/ ١٣) ح (١٢) دار ابن كثير، ١٩٩٢م.

(٣) الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية، محمد بن علي بن محمد بن علان البكري الصديقي الشافعي، (٥/ ١٨١).

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، (١٢/ ٢٨١).

(٥) سورة: الذاريات، الآية (٢٥).

(٦) سورة: الذاريات، الآية (٢٥).

﴿ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾»[1] وفي هذا من حسن مخاطبة الضيف والتذمم منه : وجهان من المدح:

أحدهما: أنه عليه السلام: «لما أنكرهم ولم يعرفهم، احتشم[2] من مواجهتهم بلفظ ينفر الضيف لو قال: أنتم قوم منكرون، فحذف المبتدأ هنا من ألطف الكلام»[3].

وذهب بعض المحققين إلى أن الذي يظهر أن التقدير هؤلاء ﴿ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾ وأنه عليه السلام قاله في نفسه، أو لمن كان معه من أتباعه وغلمانه من غير أن يشعرهم بذلك فإنه الأنسب بحاله. عليه السلام لأن في خطاب الضيف بنحو ذلك إيحاشاً ما، وطلبه به أن يعرفوه حالهم لعله لا يزيل ذلك.

وأيضا لو كان مراده ذلك لكشفوا أحوالهم عند القول المذكور ولم يتصد عليه السلام لمقدمات الضيافة[4].

الثاني: أن إبراهيم عليه السلام عندما أنكرهم لم يقل: إني أنكركم بل قال عليه السلام ﴿ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾ فبنى الفعل للمفعول وحذف فاعله، وهو أحسن في هذا المقام ، وأبعد من التنفير والمواجهة بالخشونة[5].

هذا ، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنه فمن محاسن خطاب النبي ﷺ مع أصحابه: أنه كان عليه الصلاة والسلام لا يواجه أحداً بما يكرهُه، بل يقول: ما بال أقوام يقولون كذا، ويفعلون كذا[6].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٧/ ٤٢٠).

(٢) يقول ابن فارس: حشم: الحاء والشين والميم أصل مشترك، وهو الغضب أو قريب منه. قال أصل اللغة الحشمة: الانقباض والاستحياء، وقال قوم: هو الغضب.
- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، كتاب الحاء، والشين وما يثلثهما (٢/ ٦٣).

(٣) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، لابن قيم الجوزية، ص: (٢٧٢).

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، (١٤/ ١٣).

(٥) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام، لابن قيم الجوزية، ص: ٢٧٢.

(٦) وردت أحاديث كثيرة بهذا الأسلوب مثل قوله ﷺ:
- عن أنس «ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم».
- أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب رفع البصر إلى السماء في الصلاة (٢/ ٤٧٥) ح/ ٧٥٠، فتح الباري.
- وقوله ﷺ: عن عائشة رضي الله عنها: ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه»

نتبين مما سبق أن: الكلام اللين والطيب من الأسباب التي تؤلف بين القلوب، قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾ (١).

وعن سهل بن سعد الساعدي قال قال: رسول الله ﷺ: «المؤمن يألف المؤمن ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»(٢).

قال المناوي في شرح قوله: «المؤمن يألف» قال: لحسن أخلاقه وسهولة طباعه ولين جانبه .... فالمؤمن يألف الخير وأهله ويألفونه بمناسبة الإيمان، وقال الطيبي: «ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف» لضعف إيمانه وعسر أخلاقه وسوء طباعه والألفة سبب للاعتصام بالله وبحبله وبه يحصل الإجماع بين المسلمين وبضده تحصل النفرة بينهم(٣).

نستنتج مما سبق: مشروعية التعرف إلى الناس وحسن مخاطبة وملاطفة الضيف في الكلام للتدليل على الأنس به.

المطلب الثاني

آداب إطعام الطعام

المبادرة إلى الضيافة والإسراع بها:

إن المبادرة إلى الضيافة والإسراع بها بخفية وسرعة دليل على كرم رب المنزل

- أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من التعمق، (١٥/٢٠٦) ح/ ٧٣٠١، فتح الباري.

(١) سورة الإسراء: الآية (٥٣).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، حديث أبي مالك سهل بن سعد الساعدي (٦/ ٤٥٩)، ح ٢٢٤٦٠.

- قال الهيثمي: رواه أحمد، وفيه: مصعب بن ثابت، وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه ابن معين وغيره، وبقية رجاله ثقات.
- مجمع الزوائد، للهيثمي، باب المؤمن يألف ويؤلف، (٨/١٦٥) ح/٣٠٩٧.
- قال الألباني: صحيح.
- صحيح الجامع الصغير، (٢، ١١٣٠) ح ٦٦٦١.

(٣) فيض القدير، للمناوي، (٦/ ٣٢٩).

المضيف وقد ذكر لنا القرآن الكريم ذلك في قصة ضيف إبراهيم u قال تعالى: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ ﴾[1].

يقول الراغب الأصفهاني: «الروغ: الميل على سبيل الاحتيال، ومنه راغ الثعلب يروغ روغاناً، وطريق رائغ إذا لم يكن مستقيما، كأنه يراوغ، وراوغ فلان فلاناً، وراغ فلان إلى فلان: مال نحوه لأمر يريده منه بالاحتيال قال: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ٢٦ ﴾ فراغ الى أهله»[2].

«قال الزجاج: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ ﴾: أي عدل إلى أهله، وقيل: ذهب إليهم في خفية من ضيوفه، والمعنى متقارب»[3].

فلفظة «راغ» يمكن أن تتضمن أمرين هما:

الأول: أن إبراهيم عليه السلام انسل خفية وبسرعة بحيث لا يكاد يشعر به الضيوف ؛ لئلا يقوموا إذا رأوه ذهب إلى أهله «وهذا من كرم رب المنزل أن يذهب في اختفاء بحيث لا يشعر به إلا وقد جاءه بالطعام ، بخلاف من يُسمع ضيفه، ويقول له، أو لمن حضر: مكانكم حتى أتيكم بالطعام، ونحو ذلك مما يوجب حياء الضيف واحتشامه»[4] فلفظةُ «راغ» تنفي هذا الأمر.

الثاني: «تشعر الفاء في قوله تعالى: ﴿ فَرَاغَ ﴾» «أنه عليه السلام بادر بالذهاب ولم يمهل وقد ذكروا أن من أدب المضيف أن يبادر بالقرى من غير أن يشعر به الضيف حذراً من أن يمنعه الضيف، أو يصير منتظراً»[5].

هذا ، وإن «غيبة المضيف لحظة من الضيف مستحسن ؛ ليستريح ، ويأتي بدفع ما يحتاج إليه ويمنعه الحياء منه»[6].

---

(١) سورة الذاريات، من الآية (٢٦).
(٢) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، مادة: روغ (١/ ٣٧٣).
(٣) فتح القدير، للشوكاني، (٥/ ١٠٥).
-انظر معاني القرآن، للزجاج، (٥/ ٥٤).
(٤) جلاء الأفهام، لابن قيم الجوزية، ص: ٢٧٢.
(٥) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، الألوسي، (١٤/ ١٣).
(٦) تفسير مفاتيح الغيب، لفخرالدين الرازي، (٢٨/ ١٧٩).

هذا وليس إكرام الضيف بالتكلف وأن يتحمل المضيف فوق طاقته فقد قال الله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[1] وروى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه. «أن رجلا أتى النبي ﷺ فبعث إلى نسائه فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال: رسول الله ﷺ من يضم أو يضيف هذا ؟ فقال رجل من الأنصار: أنا....»[2].

وجه الدلالة: ينبغي لكبير القوم أن يبدأ في مواساة الضيف ومن يطرقهم بنفسه فيواسيه من ماله أولاً بما يتيسر إن أمكنه ، ثم يطلب له على سبيل التعاون على البر والتقوى من أصحابه[3] .

ويؤيده ما رواه الحاكم في مستدركه عن سلمان أنه عليه الصلاة والسلام: نهى عن التكلف للضيف[4] قال المناوي: «أي أن يتكلف المضيف له ضيافة تفوق ما يليق بالحال لما فيه من الإضرار ، بل لا يمسك موجوداً ، ولا يتكلف مفقوداً ، ولا يزيد على عادته»[5] «ولعل وجه النهي حتى لا يكره نزوله»[6]

هذا وصنع الطعام للضيف يكون بالقدر الذي يفي بالمقصود ، بلا إسراف ولا تقتير. قال تعالى: ﴿ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ ﴾[7].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾[8].

وأما ما يعهد اليوم من إسراف بعض الناس في ولائمهم والتكلف بها بل إن بعضهم أصبح في سباق مع غيره أيهما يغلب صاحبه في كثرة الأصناف، ولا شك أن هذا الفعل مذموم ومكروه.

---

(١) سورة: البقرة، من الآية (٢٨٦).
(٢) سبق تخريجه انظر ص١٤.
(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، (١٤/ ١٢).
(٤) المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، كتاب الأطعمة، النهي عن التكليف للضيف (٥/ ١٦٩)، ح ٢٩٨٦.
قال الألباني: صحيح، انظر: سلسة الأحاديث الصحيحة، (٥/ ٥١١) ح٢١٣٦.
(٥) فيض القدير، للمناوي.
(٦) مسند الإمام أبى حنيفة، لأبى حنيفة النعماني، (١/ ١٥٩) دار الكتب العلمية، بيروت.
(٧) سورة: الطلاق، من الآية (٧).
(٨) سورة: ص، الآية (٨٦).

قال الخطابي: المتباريان هما المتعارضان بفعليهما ، يقال : تبارى الرجلان إذا فعل كل واحد منهما مثل فعل صاحبه ليرى أيهما يغلب صاحبه، وإنما كره ذلك لما فيه من الرياء والمباهاة ، ولأنه داخل في جملة ما نهى الله عنه من أكل المال بالباطل[1].

وأما سيدنا إبراهيم : فلم يقترض ولم يتسلف من أجل إكرام الضيف ولكن كان هذا من أهل بيته. يدل على ذلك: قوله تعالى: ﴿ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ ﴾ «فيه من الإشعار بأن كرامة الضيف مُعدةٌ حاصلة عند أهله، وأنه لا يحتاج أن يستقرض من جيرانه، ولا يذهب إلى غير أهله، إذْ نُزُلُ الضيف حاصل عندهم»[2].

يقول أبو حيان: «عطف «فجاء» على «فراغ» يدل على سرعة مجيئه بالقرا ، وأنه كان معداً عنده لمن يَرِد عليه. وقال في سورة هود: ﴿ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ﴾ وهذا يدل أيضا على أنه كان العجل سابقا شيّه قبل مجيئهم. وقال قتادة: كان غالب ماله البقر، وفيه دليل على أنه يحضر للضيف أكثر مما يأكل»[3].

٢-تقديم الأجود من الطعام:

إن من أدب الضيافة تقديم الأجود من الطعام . قال تعالى في حق كرم ضيافة إبراهيم u ﴿ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴾[4] وهذا يتضمن أمرين:

الأول: قوله تعالى: ﴿ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ ﴾[5] أنه جاء عليه السلام بحيوان تام لم يأتهم ببعضه؛ ليتخيروا من أطايب لحمه ما شاءوا[6].

الثاني: قوله ﴿ سَمِينٖ ﴾ أي ممتلئ الجسد بالشحم واللحم[7] «لا هزيل، ومعلوم أن ذلك من أفخر أموالهم، ومثله يتخذ للاقتناء والتربية ، فآثر به ضيفانه»[8]، بل

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داوود، لأبى الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادي، (١٠/ ٢٤٤).
(٢) الرسالة التبوكية، لابن قيم الجوزية، ص: ٧٧
(٣) تفسير البحر المحيط، لأبى حيان، (٨/ ١٣٩).
(٤) سورة: الذاريات، من الآية (٢٦).
(٥) العجل: ولد البقرة لتصور عجلتها التي يقدم منه إذا صار ثوراً.
– المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، مادة: عجل، (١/ ٥٤٩).
(٦) الرسالة التبوكية، لابن قيم الجوزية، ص٧٧.
(٧) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، (١٤/ ١٣).
(٨) جلاء الأفهام، لابن قيم الجوزية، ص ٢٧٣.

ووصف العجل في سورة هود «بحنيذ»[1] أي «مشوي بين حجزين، وإنما يفعل ذلك لتتصبب عنه اللزوجة التي فيه[2]

–قال قتاده عند قوله تعالى: ﴿ فَجَآءَ بِعِجۡلٍ سَمِينٖ ﴾: جاءهم بعجل ما ، لأن عامة مال إبراهيم البقر، واختاره لهم سميناً زيادة في إكرامهم، وجاء به مشوياً وهو محذوف من الكلام لما فيه من الدليل عليه[3].

يقول ابن العربي: «مبادرة إبراهيم بالنزول حين ظن أنهم أضياف من الله متلوةٌ من كلامه في الثناء لها عليه تبين ذلك في إنزاله في حين قال في موضع: ﴿ فَجَآءَ بِعِجۡلٍ سَمِينٖ ﴾. وفي آخر: ﴿ فَجَآءَ بِعِجۡلٍ سَمِينٖ ﴾ أي مشوي ووضعه بالطيبين: طيب السمن، وطيب العمل بالشواء وهو أطيب للمحاولة في تناوله؛ فكان لإبراهيم فيه ثلاث خصال: الضيافة، والمبادرة بها جيداً لسمن فيها وصفاً»[4].

يقول الباجي المالكي: «جواز إصلاح الطعام والشراب، والمبالغة في تطبيبه بإتحاف الضيف والصديق بأفضل ما يجده منه ، وقد أخبره الله – تعالى– عن نبيه عليه السلام وأنه راغ إلى أهله فجاء بعجل سمين»[5].

٣–خدمة الضيف وملاطفته عند تقديم الطعام:

إن من آداب حسن الضيافة خدمة الضيف وملاطفته عند تقديم الطعام، خصوصاً عند تقديم الطعام ، ولو كان المضيف سيد الأضياف.

فإبراهيم عليه السلام خليل الرحمن هو سيد من ضيف الضيفان بنفسه قال تعالى: ﴿ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ٢٧ ﴾[6] متضمنة ثلاثة أنواع من المدح في خدمة إبراهيم u بضيفه.

الأول: قوله «فجاء» دل على خدمته للضيف بنفسه. ولم يقل: فأمر لهم، بل هو

---

(١) سورة هود، من الأية: (٦٩).
(٢) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، مادة: حنذ، (١/ ٢٦٠).
(٣) تفسير النكت والعيون، للماوردي (٤/ ١٧٣).
(٤) أحكام القرآن، لابن العربي، (٣/ ٢٢).
(٥) المنتقى شرح الموطأ، لسليمان الباجي المالكي، (٧/ ٢٤٧).
(٦) سورة الذاريات، الآية ٢٦ – ٢٧.

الذي ذهب وجاء به بنفسه ولم يبعثه مع خادمه، وهذا أبلغ في إكرام الضيف[1].

الثاني: وقوله ﴿ إِلَيْهِمْ ﴾ «متضمن لمدح وأدب آخر، وهو إحضار الطعام إلى بين أيدي الضيف، بخلاف من يُهيئ الطعام في موضع، ثم يقيم ضيفه، فيوردهُ عليه»[2].

«ولأن من قدم الطعام إلى قوم يكون كل واحد مستقرا في مقره لا يختلف عليه المكان فإن نقلهم إلى مكان الطعام ربما يحصل هناك اختلاف جلوس فيقرب الأدنى ويضيق على الأعلى»[3].

الثالث: وقوله ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ فيه مدح وأدب آخر؛ فإنه عرض عليهم الأكل بقوله: ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾، وهذه صيغة عرض مؤذنة بالتلطف، بخلاف من يقول: ضعوا أيديكم في الطعام، كلوا، تقدموا، ونحو ذلك[4].

يقول ابن حبان: «ومن إكرام الضيف طيب الكلام، وطلاقة الوجه، والخدمة بالنفس، فإنه لا يذل من خدم أضيافه، كما لا يعِزُّ من استخدمهم، أو طلب القراه أجراً»[5].

نتبين مما سبق: مشروعية خدمة الضيف وملاطفته ولو كان المضيف سيد الأضياف.

يقول ابن القيم: بعد أن ذكر الآداب المستنبطة من قصة ضيف إبراهيم «فقد جمعت هذه الآية ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[6] آداب الضيافة التي هي أشرف الآداب، وما عداها من التكلفات التي هي تخلف وتكلف إنما هي من أوضاع الناس وعوائدهم وكفى بهذه الأداب شرفاً وفخراً»[7].

---

(١) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام، لابن قيم الجوزية، ص: ٢٧٢

(٢) الرسالة التبوكية، لابن قيم الجوزية، ص ٧٨.

(٣) تفسير مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي، (١٧٧/٢٨).

(٤) الرسالة التبوكية، لابن قيم الجوزية، ص ٧٨.

(٥) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، لابن حبان، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد (١/ ٢٦١) دار الكتب العلمية، بيروت.

(٦) سورة: الذاريات: الآية (٢٤-٢٧).

(٧) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، لابن قيم الجوزية، ص٢٧٣-٢٧٤.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على قدوة العالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

بعد أن أنهيت البحث بقدر الطاقة التي منَّ الله تعالى بها علي **لا بد لي أن أبين النتائج** المهمة التي تستنبط من البحث سائلة الله تعالى الإعانة والتوفيق والفائدة والنفع:-

أولاً: تميزت الكلمة في القرآن بنقاء لفظها وعذوبتها، ووفاء معناها، وتمام غايتها، مع تمكنها في موقعها، وشدة ارتباطها بما قبلها وما بعدها:

وفي قصة ضيف إبراهيمﷺ في القرآن أنموذج تحقق فيه ذلك، وقد كانت هذه السمة في القرآن الكريم من جملة الفوارق بين كلام الله تعالى وكلام البشر.

مشروعية الضيافة دل على ذلك القرآن الكريم، والسنة النبوية، والاجماع.

الضيافة هي من الأخلاق الفاضلة، وسنن الأنبياء -عليهم السلام- إذ تجسد هذا الخلق الكريم بإبراهيم ﷺ فكان أول من ضيف الضيفان.

ذكر الله تعالى قصة ضيف إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- في أكثر من موضع في القرآن على وجه المدح والثناء لإبراهيم -عليه الصلاة والسلام-.

مشروعية السلام من القادم على غيره والرد بما هو أكمل وأتم حيث أتى سلام إبراهيم ﷺ بالجملة الإسمية الدالة على الثبوت والاستمرار.

مشروعية أدب التعرف إلى الناس بلطف حيث قال إبراهيم ﷺ ﴿ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾ ولم يقل «أنكرتكم»:

أن الضيف يكرم بأنواع الإكرام بالقول والفعل وقد وصف الله تعالى نبيه إبراهيم ما صنعه مع ضيوفه من الضيافة قولاً وفعلاً يتضح بما يلي:

المبادرة إلى الضيافة والإسراع بها دل ذلك لفظ ﴿ فَرَاغَ ﴾ وهذا من كرم رب المنزل المضيف.

مشروعية خدمة الضيف ولو كان المضيف سيد الأضياف، فإبراهيم هو الذي خدم أضيافه بنفسه دل ذلك قوله تعالى: ﴿ فَجَآءَ ﴾ ولم يقل «فأمر لهم» وقوله

تعالى: ﴿ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ ﴾ ولم يقل «أمر خادمه بذلك».

تقديم أجود أنواع الطعام المتوافر، وتجسد ذلك بفعل إبراهيم ﷺ حيث جاء بعجل كامل، ولم يأت ببعضه، وصفته أنه سمين لا هزيل، وهذا مما من الله تعالى به على خليله إبراهيم عليه السلام من الكرم الكثير.

د- ملاطفة الضيف بالكلام، وخصوصاً عند تقديم الطعام، تمثل ذلك في قول إبراهيم عليه السلام لضيوفه ﴿ أَلَا تَأۡكُلُونَ ٢٧ ﴾ وهذا عرض وتلطف في القول، فينبغي استعمال الألفاظ الحسنه واللائقة بالحال.

المراجع والمصادر[1].

- القرآن الكريم.

- الاتقان في علوم القرآن، الحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٨م.

- أحكام القرآن، تأليف: الإمام أبو بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.

- الأذكار، تأليف: أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي تحقيق: عبدالقادر الأرنؤوط، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تأليف: العلامة محمد بن محمد بن مصطفى أبو السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- استدراك ما فات من بلاغة الآيات المتشابهات د/ سعد عبدالعظيم محمد، دار ابن الجوزي، القاهرة، ٢٠١٥م.

- أسرار التكرار في القرآن المسمى. البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، تأليف: تاج القراء محمود بن حمزة الكرماني، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، دار الفضيلة. ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م.

- الأوائل لابن أبي العاصم، أبو بكر بن أبي العاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت.

(١) الفهرس مرتب على حسب حروف المعجم دون اعتبار «أل» اعتمادًا على أسماء الكتب.

- البحر المحيط، تأليف: أبو عبدالله محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت ١٤٢٠هـ.

- البرهان في علوم القرآن، تأليف: العلامة بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي الشافعي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م.

- بصائر دوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تأليف: مجد الدين للفيروز أبادي تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٦م.

- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، تأليف: أبو العلاء محمد المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت.

- تفسير التحرير والتنوير، تأليف: العلامة محمد الطاهر ابن عاشور؛ الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

- التفسير الحديث، لدروزه محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٨٣ه.

- تفسير القرآن العظيم، تأليف: الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي محمد سلامه، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٩٩٧م.

- تفسير المراغي، احمد بن مصطفى المراغي، الناشر: مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٤٦م.

- تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، لسميح عاطف الدين الشركة العالمية دار الكتاب العالمي، ط٣، ١٩٩٤م.

- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبو عمر القرطبي، تحقيق: مصطفى العلوي محمد البكري وزارة عموم الأوقاف والشئون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.

- جامع البيان في تأويل القرآن، تأليف: الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د/ عبدالله بن عبدالمحسن التريكي، دار هجر، الرياض، ٢٠٠١م.

- الجامع لأحكام القرآن، تأليف: العلامة أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب العلمية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م.

- جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، لابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – عبدالقادر الأرناؤوط، دار العروبة، الكويت، ط٢، ١٩٨٧م.

- الدر المنثور في التفسير المأثور لعبدالرحمن بن الكحال جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت ١٩٩٣م.

- الرسالة التبوكية، تأليف: الإمام أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عزيز شمس، اشراف: بكر بن عبدالله أبو زيد، دار عالم الفوائد، الرياض.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف: العلامة الألوسي البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تأليف: محمد بن حبان البستي أبو حاتم، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد – محمد عبدالرزاق حمزة – محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٧هـ.

- زاد المسير في علم التفسير، تأليف: الحافظ أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي المكتب الإسلامي – بيروت.

- سنن ابن ماجه، تأليف، الحافظ أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه،

دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٤٦م.

- شعب الإيمان، تأليف: الإمام أحمد بن الحسين الخراساني أبو بكر البيهقي، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

- صحيح الجامع الصغير وزيادته، تأليف: العلامة محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٨٨م.

- طرح التثريب في شرح التقريب، تأليف: أبو الفضل زين الدين عبدالرحيم العراقي، وأحمله ابنه أبو زرعة ولي الدين العراقي، دار إحياء التراث العربي.

- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني، درا إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢م.

- عون المعبود شرح سنن أبي داود، تأليف: العلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادي، دار الفكر، بيروت.

- غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، تأليف: العلامة محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ط٢، ١٩٩٣م.

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني طبعة مصححه على عدة نسخ وعن النسخة التي حقق أصولها وأجازها الشيخ: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف: العلامة محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة، دار الوفاء، القاهرة، ١٩٩٤م.

- الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية، تأليف: العلامة محمد بن علي بن محمد،

والعلامة: علان البكري الصديقي الشافعي، تحقيق: عبدالمنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠١٤م.

- في ظلال القرآن، سيد قطب، درا الشروق بيروت، القاهرة، ط١٧، ١٤١٢هـ.

- فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، تأليف: العلامة محمد عبدالرؤوف المناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٤م.

- القاموس الإسلامي، لأحمد عطيه، نشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٦م.

- القاموس المحيط، تأليف: مجد الدين الفيروز آبادي المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي القاهرة، ١٩٧٦م.

- الكشاف عن حقائق غومض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف: الإمام محمود بن عمر الزمخشري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- لسان العرب، تأليف: العلامة محمد بن مكرم بن علي جمال ادين ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تأليف: الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م.

- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تأليف: العلامة ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٦م.

- المستدرك على الصحيحين، تأليف الإمام الحافظ أبو عبدالله محمد الحاكم النيسابوري، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م.

- مسند الإمام أبي حنيفة، تأليف: أبو حنيفة النعماني دار الكتب العلمية، بيروت.

- المسند، تأليف: الإمام: أحمد بن محمد بن حنبل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٢م.

- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، تأليف: العلامة أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز البوصيري، دار الجنان، بيروت، ١٩٨٦م.

- معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.

- معاني القرآن واعرابه، تأليف: الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق: عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

- معجم مقاييس اللغة، تأليف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، تأليف: العلامة فخر الدين الرازي أبو عبدالله محمد بن عمر الطبرستاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٠١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

- المفردات في غريب القرآن، تأليف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، دار ابن الجوزي، القاهرة، ٢٠١٢م.

- المنتقى شرح موطأ إمام دار الهجرة مالك بن انس، تأليف: أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي المالكي، مطبعة دار السعادة، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٣٣٢هـ.

- المنهاج شرح صحيح مسلم، تأليف: الإمام الحافظ محي الدين أبو زكريا يحيى النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

- الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ط٣، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢م.
- النكت والعيون، تأليف: الإمام أبو الحسن علي الماوردي تحقيق: السيد ابن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، تأليف: العلامة محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، القاهرة ١٩٩٣م.